الغَـزالي الفقيْـه
وكتـابه الوجيـز

الغزالي أحد أعلام الإسلام ، وأبرز شخصيات التاريخ ، ومن النبلاء المعروفين ، ومن أشهر مشاهير العلماء ، ومن كبار الفقهاء ، وأحد رجال التاريخ ، تجاوزت علومه ومعارفه ومعالمه حدود العروبة والإسلام ، وأصبح شخصية عالمية مشهورة ، ومعروفاً في جميع الأوساط العلمية ، وكانت ثقافته وعطاءاته متنوعة في التصوف وأصول الدين ، وفي الفقه وأصول الفقه ، وفي الأخلاق والتربية ، وفي الوعظ والتدريس ، وترك في كل فن منها كتاباً فأكثر .

والوجيز أحد كتب الغزالي الفقهية ، الذي تبوأ مكانة عالية في المكتبة الإسلامية ، وكان له أثر كبير بين الفقهاء ، ويمثل حلقة مهمة في كتب الفقه في المذهب الشافعي .

❊ مخـطط الـبحـث :

وسوف نخصص الكلام عن الغزالي الفقيه مع دراسة كتابه الوجيز ، وقد قسمنا الموضوع إلى قسمين وخاتمة ، وتحت كل قسم عدة فقرات ، كما يلي :

الـقـسم الأول: الغزالي فقيهاً ، ونبين فيه سيرته في دراسة الفقه ،

وأشهر أساتذته وزملائه ، كتبه الفقهية ، تلاميذه في الفقه ، مكانته الفقهية ، وثناء العلماء على الغزالي فقيهاً.

القسم الثاني: التعريف بكتاب الوجيز:

ونبين فيه اسم الكتاب ، ونسبته إلى الغزالي ، طبعه ونشره ، منهج الكتاب وأسلوبه ، ترتيب الكتاب ، المصطلحات الفقهية فيه ، ألفاظ الترجيح ، مكانة الكتاب ، شروحه.

الخاتمة.

القسم الأول: الغزالي فقيهاً:

لقد تبوأ الغزالي الدرجات العليا في التفوق والشهرة في القديم والحديث ، ووصل إلى هذه المكانة من عدة جوانب ، وفاق أقرانه ، ومن سبقه ، ومن لحقه ، بعدة علوم ، فإذا ذكر علم أصول الدين والعقيدة والتوحيد فالغزالي في القمة ، وإذا بحثنا في التصوف والأخلاق فالغزالي في الذروة ، وإذا تناولنا الفقه فالغزالي فقيه معتمد ، وأصولي ثقة ، ورئيس في ذلك ، وإذا عرضنا الوعظ والتدريس والتربية فالغزالي قدوة ومعلم ومرب للنفوس والقلوب والعقول والجوارح ، وإذا عدنا إلى علم الجدل والمنطق والفلسفة فالغزالي أنظر أهل زمانه ، وهو فيلسوف الإسلام بلا منازع ، وقد أفحم فلاسفة اليونان والإغريق ، وكشف تهافتهم وتناقضهم ، ونقتصر في بحثنا على الجانب الفقهي عند الغزالي.

والفقه أحد العلوم الإسلامية المهمة ، الذي يبحث في معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وهو من أجل العلوم قدراً ، وأرفعها شأناً ، لأنه يوصل إلى معرفة أحكام الله تعالى في الحلال والحرام ، والجائز والممنوع ، ويرشد الإنسان إلى معرفة المنهج الإلهي في السلوك الفردي والاجتماعي ، ويعبد الطريق السوي لتنظيم علاقة الإنسان بنفسه ، وعلاقة الإنسان بربه في العبادات ، وعلاقة الإنسان بأخيه

الإنسان في المعاملات ، ويرسم الخط القويم لتحديد علاقة الأفراد مع بعضهم ، رؤساء ومرؤوسين ، كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساء ، مسلمين وذميين ، حكاماً ومحكومين ، قضاة ومدعين ، علماء ومتعلمين ، عمالاً وأرباب عمل.

وكان الفقه في القرن الرابع والخامس الهجريين في مرحلة النضج والكمال ، وتوفر في هذين القرنين علماء كبار ، وفقهاء أجلاء ، قاموا على رعاية الفقه ، والعمل على التوسع به ، والاجتهاد فيه ، وتركوا مصنفات كثيرة ، ومجلدات عظيمة ، وموسوعات فقهية خالدة ، وجاء الغزالي فدخل في هذا الخضم ، وكان فيه فاعلاً ومؤثراً ، ومحرضاً وموجهاً ، وباحثاً ومؤلفاً.

سيرة الغزالي الفقهية:

اسمه محمد بن محمد بن أحمد ، الطوسي ، الإمام الجليل ، أبو حامد الغزالي ، المعروف بحجة الإسلام.

ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ ، وكان أبوه يتضرع إلى الله تعالى بالدعاء ، ويسأله أن يرزقه ابناً ، ويجعله فقيهاً ، فكان أبو حامد الغزالي فقيه عصره ، وإمام وقته.

قال ابن السبكي: «أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وفارس ميدانه ، كلمته شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيقتها المعادي والمخالف»[1].

بدأ أبو حامد الغزالي في طلب الفقه منذ نعومة أظفاره ، وقرأه في صباه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني[2] ، ثم سافر إلى جرجان فأخذ

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٩٤.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٩١ ، ٦/ ١٩٥ ، ٢٠٤ ، تبيين كذب المفتري =

الفقه عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، وعلق عنه «التعليقة» ، ثم رجع إلى طوس ، وفي الطريق هاجمه اللصوص ، وسلبوه كتبه وماله ، فتوسل إليهم برد التعليقة» قائلاً: «هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها» ، فأجابوا طلبه ، وردوها إليه ، فسعى إلى حفظها عن ظهر قلب حتى لا تضيع عليه مرة ثانية ، قائلاً: «فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال بها ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقت ، وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي»[1] ، وبقي مدة في طوس يتفقه ، ويطلب العلم ، ويبحث في أطرافه وجوانبه.

ولما بلغ الغزالي سن الشباب قدم نيسابور في طائفة من الشبان من طوس ، ولازم إمام الحرمين الجويني في الدروس والإفتاء ، وجدَّ واجتهد في طلب الفقه حتى برع في معرفة الفقه على المذهب الشافعي ، ومعرفة الخلاف مع بقية الأئمة ، وفاق أقرانه في الفهم والحفظ والإلقاء والبيان وحل المعضلات حتى وصفه أستاذه الجويني فقال: «إنه بحر مغدق» لشدة ذكائه ، ودقة نظره ، وسلامة فطرته ، وفرط إدراكه ، وقوة حافظته ، وجرأته في الغوص على المعاني الدقيقة ، ولما طالت مجالسة الغزالي لإمام الحرمين الجويني امتعض الأستاذ من تلميذه في الباطن ، لما رأى عليه من النجابة ، وحسن المنطق ، وسرعة البديهة ، وقوة المناظرة ، وحسن البيان في الحديث والتأليف ، وجلب الأنظار إليه ، وإن كان الجويني يُظهر التبجح به في الظاهر[2].

ولما مات إمام الحرمين الجويني سنة ٤٧٨ هـ خرج الغزالي إلى

= ص ٢٩١.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٩٥.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٣ تبيين كذب المفتري ص ٢٩٢ ، طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٩٦.

«المعسكر» الذي يقيم فيه نظام الملك ، ويجتمع عنده أهل العلم ، فناظر الغزالي أئمة العلماء في مجلس نظام الملك ، وظهر عليهم ، فاعترفوا بفضله ، وقربه نظام الملك ، وولاه التدريس في «المدرسة النظامية» ببغداد.

وقدم الغزالي بغداد سنة ٤٨٤ هـ ، وتولى تدريس الفقه بالنظامية ، ومارس الإفتاء والتصنيف حتى ذاع صيته ، وارتفع شأنه ، وعرفه الناس ، وأقبلوا على دروسه ، ورحل إليه الطلاب والعلماء ، وصار إمام العراق ، بعد أن كان إمام خراسان ، وبقي في بغداد أربع سنوات يفيد أهلها ، وينشر الفقه فيها.

ثم ذهب إلى أداء فريضة الحج ، وقدم الشام ، وأقام بدمشق ، ينهل الطلاب من معينه ، ويغترف العلماء من فضله ، ويجيب عن أسئلة المستفتين.

واستفاد الغزالي من تجواله وكثرة رحلاته في البلاد ، فجالس العلماء وناظرهم ، واستفاد منهم ، واطلع على نتاج غيره ، وعاد إلى خراسان ، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ، ثم رجع إلى بلده في مدينة طوس ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على العبادة ومجالسة أرباب القلوب ، والتدريس لطلبة العلم ، إلى أن انتقل إلى جوار ربه في جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ ، بعد أن كان إمام أئمة الدين ، وشيخ المذهب الشافعي في عصره ، وفيلسوف المسلمين في وقته ، وقد اشتهر اسمه ، وسارت الركبان بذكره ، ولهجت الألسنة بفضله ، وانتشرت كتبه في الأصقاع[1].

---

(١) المراجع السابقة.

زملاء الغزالي:

وتتميماً للفائدة نذكر أشهر زملاء الغزالي وقرناءه لبيان مكانته، ومعرفة درجته منهم:

١ ـ إسماعيل بن عبد الملك بن علي، أبو القاسم الحاكمي، من أهل طوس، ومن تلامذة إمام الحرمين الجويني، برع في الفقه، وسافر إلى العراق والشام مع الغزالي، وكان شريكاً له في الدرس، وكان أكبر سناً منه، فكان الغزالي يكرمه ويقدمه على نفسه، ويخدمه أحياناً، ويظهر له الاحترام والتقدير لكبر سنه، وتوفي سنة ٥٢٩ هـ، ودفن إلى جانب الغزالي، وكان الحاكمي إماماً ورعاً بارعاً، حسن السيرة[١].

٢ ـ علي بن محمد بن علي، الإمام شمس الإسلام، أبو الحسن، المعروف بـ(إلكيا الهراسي)، عماد الدين، أحد فحول العلماء، ورؤوس الأئمة فقهاً وأصولاً وجدلاً وحفظاً لمتون أحاديث الأحكام، تفقه على إمام الحرمين الجويني، وهو أجل تلامذته بعد الغزالي توفي سنة ٥٠٤ هـ ببغداد.

قال ابن عساكر عنه: «وكان حسن الوجه، مطابق الصوت للنظر، مليح الكلام، فحصل طريقة إمام الحرمين، وتخرج به فيها وصار من وجوه الأصحاب، ورؤوس المعيدين في الدرس، وكان ثاني الغزالي، بل أملح وأطيب في النظر والصوت، وأبين في العبارة والتقرير منه، وإن كان الغزالي أحد وأصوب خاطراً، وأسرع بياناً وعبارة منه»[٢].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٤٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٩.

(٢) تبيين كذب المفتري ص ٢٨٨ وما بعدها، وانظر: طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٣١، وفيات الأعيان ٢/ ٤٤٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢.

٣ ـ أحمد بن محمد المظفر ، الإمام أبو المظفر الخوافي النيسابوري ، لازم إمام الحرمين ، وكان من عظماء أصحابه ، وأخصاء طلابه ، يذاكره ليله ونهاره ، ويسامره علانية ، إذا دجا الليل وماج في أسراره ، وكان الإمام يعجب بفصاحته ، ويثني على حسن مناظراته ، ويصفه بالفضل ، وكان في المناظرة أوحد زمانه ، وأنظر أهل عصره ، أسداً لا يصطلى له بنار ، توفي بطوس سنة ٥٠٠ هـ ، قال ابن عساكر : «كان حسن العقيدة ورع النفس ، ما عهدنا عليه هنات قط[١] ، ولي القضاء بطوس ونواحيها .

هؤلاء أشهر زملاء الغزالي الذين تتلمذوا معه على إمام الحرمين الجويني الذي وصفهم بقوله : «الغزالي بحر مغدق ، وإلكيا أسد مُخرق ، والخوافي نار تحرق»[٢] .

كما كان إمام الحرمين ينادي الغزالي بقوله : «يا فقيه» ، ويقول الجويني أيضاً في تلامذته الثلاثة إذا ناظروا : «التحقيق للخوافي ، والحدسيات للغزالي ، والبيان لإلكيا الهراسي»[٣] .

آثار الغزالي الفقهية :

كان الغزالي من فقهاء الشافعية باتفاق العلماء ، وقد شارك في خدمة الفقه عامة ، والمذهب الشافعي خاصة في عدة مجالات ، حتى صار شيخ الشافعية في عصره ، وإمام المذهب في وقته ، وقطب الرحا لمدرسة الشافعية تدريساً وإفتاء وتصنيفاً ، حتى فتح الآذان إلى الفقه ، وبث الحياة والحركة في المذهب الشافعي ، فقد تولى تدريس الفقه الشافعي والإفتاء

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ٢٨٨ ، وانظر : طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٦٣ ، وفيات الأعيان ١/ ٨٠ ، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٨ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٩٦ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٨٥ ، ٢٠٢ .

به في «نظامية بغداد» ثم «نظامية نيسابور» وفي مجالس التدريس في المساجد والبلاد التي رحل إليها ، كالزاوية الغربية في الجامع الأموي بدمشق ، وفي القدس ، ومكة وغيرها ، ولما استقر في بلده طوس أنشأ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وطلبة العلم. صرف نفسه إليها ، مع الاشتغال بالأحوال الأخرى ، وكان قد انقطع فترة للعبادة والزهد ، لكنه عاد إلى التدريس والوعظ والإفتاء ، وقال: «ما كنت أجوز في ديني أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالإفادة ، وقد حق علي أن أبوح بالحق ، وأنطق به ، وأدعو إليه» قال عبد الغافر: «وكان صادقاً في ذلك»[1] وسوف نذكر ـ فيما بعد ـ أهم تلاميذه في الفقه ، ونعرض فيما يلي لكتبه وفتاويه.

كتب الغزالي الفقهية:

لم يقتصر نشاط الغزالي في الفقه على التدريس ، بل اتجه إلى التأليف والتصنيف ، وشارك في الكتابة ، وكان الغزالي من أخص تلاميذ إمام الحرمين الجويني ، ومن أنجب طلابه ، فلازمه كثيراً ، وجلس بين يديه ، ثم أخذ عنه عدة علوم ، وبدأ بالفتوى والتدريس والتصنيف في حياة أستاذه الجويني ، فعكف على كتاب الجويني «نهاية المطلب في دراية المذهب» وهو أهم كتاب في الفقه الشافعي في ذلك الوقت ، فاختصره في كتابه «البسيط» الذي يقع في عدة مجلدات كبيرة[2] ولم يقف عند هذا الحد ، بل كان متجاوباً مع الواقع في حب الاختصار ، وفي مراعاة مستويات الطلاب ، وفي تقدير حاجة الباحثين والعلماء ،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢١٠.

(٢) يوجد من كتاب «البسيط» نسخة مخطوطة ناقصة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وتحوي الأجزاء الأول والرابع والخامس والسادس ، ولم يطبع «البسيط» حتى الآن ، انظر (فهرس مخطوطات الفقه الشافعي ص٣٥وما بعدها ، كشف الظنون ١/ ١٩٧).

ومنسجماً مع الوقت بحسب الظروف واختلاف المناسبات ، فاختصر البسيط في كتابه «الوسيط» ويقول في مقدمة الوسيط[1]: «وكان تصنيفي البسيط في المذهب مستدعياً همة عالية... فصنفت هذا الكتاب ، وسميته الوسيط»[2] ويقع الوسيط في ستة مجلدات ، فاختصره الغزالي أيضاً في كتابه «الوجيز» في جزأين ، وسوف نفرده بالدراسة ، ثم اختصر الغزالي نفسه الوجيز في كتابه «الخلاصة».

وبذلك تكون كتب الغزالي في الفقه أربعة: وهي البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة ، وهي التي ذكرها شعراً أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي ، مشيداً بفضلها ، ومنوهاً بمكانتها ، ومكانة الغزالي ، فقال:

شيَّد المذهب حَبْر أحسن الله خلاصه
في بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ويضاف إلى كتب الغزالي الفقهية وآثاره في المذهب الشافعي أمران:

الأول: كتاب الفتاوى وهي أجوبة عما استفتاه به بعض الفقهاء ، وسماها ابن السبكي: «الفتاوى» المجموعة المشهورة ، ونقل طرفاً منها[3].

الثاني: إحياء علوم الدين الذي بحث فيه الغزالي كثيراً من أحكام الفقه ، بمنهج خاص ، وأسلوب مستقل ، وكان يهدف فيه إلى غير ما يهدف في

---

(١) يوجد من «الوسيط» نسخة مخطوطة ناقصة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وتحوي نسختان منه على ثلاثة أجزاء ، والنسخة الثالثة على جزأين (انظر: فهرس مخطوطات الفقه الشافعي ص٣٠٧ وما بعدها ، كشف الظنون ٢/ ٦٣٣).

(٢) انظر: الغاية القصوى في دراية الفتوى ، المقدمة ١/ ١٢٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢٦٨ ، ٢٨٥ ، ويوجد من هذه الفتاوى نسخة خطية كاملة ضمن مجموعة في دار الكتب الظاهرية بدمشق (انظر فهرس مخطوطات الفقه الشافعي ص ١٩٩).

غيره من كتب الفقه من بيان الحكم الشرعي مع دليله ، أما في «الإحياء» فيعرض إلى بيان فلسفة الأحكام الشرعية ، والأثر النفسي والروحي لها ، والترغيب بها ، والترهيب من تركها ، وبيان فضائلها المأثورة والمعقولة وأقوال الحكماء والصالحين فيها ، والحكم الشرعية من إيجادها والأحاديث والآيات التي تتعلق بها ، بحيث يثير في النفس العاطفة الجامحة إلى التسليم بها ، والالتزم بحدودها ، وعدم الخروج عنها.

أهمية كتب الغزالي الفقهية:

تتبوأ كتب الغزالي الفقهية مكانة رفيعة في المذهب الشافعي ، لأنها تمثل عدة حلقات من سلسلة كتب الفقه للمذهب الشافعي ، ابتداء من الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وانتهاء بالكتب المعتمدة في فقه المذهب في عصرنا الحاضر التي يرجع إليها الفقهاء والمفتون والقضاة والعلماء والباحثون لمعرفة الحكم الشرعي في المذهب الشافعي.

وأول حلقات هذه السلسلة تبدأ من كتاب «الأم» للإمام الشافعي نفسه ، ثم جاء بعده المزني فاختصر كتاب الأم في كتابه «مختصر المزني» المطبوع على هامش الأم في الأجزاء الخمسة الأولى منها ، ثم جاء إمام الحرمين الجويني ، وشرح «مختصر المزني» في كتابه الكبير القيم «نهاية المطلب في دراية المذهب».

ثم جاءت الحلقات التي صاغها حجة الإسلام الغزالي ، فاختصر «نهاية المطلب» في «البسيط» ثم اختصر البسيط في كتابه الوسيط ثم اختصر الوسيط في كتابه «الوجيز» ثم اختصره في كتابه «الخلاصة» ، فهذه أربع حلقات في سلسلة كتب الفقه للمذهب الشافعي.

وصارت كتب الغزالي الفقهية محط الأنظار ، انتشرت في حياته ، وتلقاها الطلاب والفقهاء والعلماء بالقبول ، وتداولوها بالتدريس ، وعكفوا عليها بالدراسة والتمحيص ، وتصنيف الشروح والحواشي ، أو

الاختصار والتعليقات ، وبينوا في مصنفات كثيرة لغاتها وأحكامها ، وما وقع فيها من خطأ لتنقيحها ، وما فيها من شائبة لتخليصها ، ولتنبيه الناس المقبلين عليها من المآخذ والهفوات فيها.

ولم تقف سلسلة الفقه الشافعي عند الغزالي وكتبه ، بل بقيت في حركة دائبة في الاتجاه الصحيح إلى الأمام ، واستمر العمل بها ، واتصلت حلقاتها ، ولكن الجديد في الأمر أنه ظهر إلى جانب السلسلة الأصلية حلقات فرعية مهمة وأساسية.

أما السلسلة الأصلية فتابعت تطورها من «الخلاصة» للغزالي فجاء الإمام الرافعي ، وهو محقق المذهب وشيخه ، فاختصر «الخلاصة» في كتابه «المحرر» فاختار الأقوال الراجحة ، والآراء المعتمدة ، وصوَّب الكثير من آراء الغزالي وترجيحاته ، ثم جاء الإمام النووي ، وهو المحقق الثاني للمذهب وشيخه ، فاختصر كتاب المحرر في كتابه «منهاج الطالبين» المعروف بالمنهاج ، فأكمل فيه النووي تدقيق المسائل ، وتنقيح المذهب ، وتحقيق الآراء ، وصار كتاب النووي رحمه الله «المنهاج» هو المعتمد عند الشافعية ، وأكب عليه الفقهاء منذ سبعة قرون ، وحتى الآن ، لبيان القول الراجح في المذهب ، وهو القول الذي يفتي به المفتون ، ويحكم به القضاة الشافعية ، وتناول العلماء والفقهاء هذا الكتاب «المنهاج» بالشروح والحواشي والتعليقات ، وهي معظم كتب الشافعية المتداولة في أيدي الناس اليوم ، وطبع كثير منها ، مثل «شرح جلال الدين المحلي» ٨٦٤ هـ وعليه «حاشيتا قليوبي وعميرة» و«مغني المحتاج» للخطيب الشربيني (٩٩٧ هـ) في أربعة أجزاء كبيرة ، و«تحفة المحتاج» لابن حجر الهيتمي (٩٧٢ هـ) في عشر مجلدات وعليه «حاشيتا الشرواني والعبادي» ، و«نهاية المحتاج» للشهاب الرملي المعروف بالشافعي الصغير (١٠٠٤ هـ) وعليه «حاشية الشبراملسي» (١٠٨٧ هـ) وحاشية المغربي (١٩٠٦ هـ) في ثمانية أجزاء كبيرة ، وهذه

هي سلسلة كتب الفقه على المذهب الشافعي ، ابتداء من الإمام الشافعي ، وحتى عصرنا الحاضر .

وظهر إلى جانب هذه السلسلة الأصلية حلقات فرعية ، تنطلق من كتب الغزالي الفقهية ، وهذا سبب اهتمامنا بها ، وتعرضنا لها .

فالوسيط للغزالي حاز قصب السبق في كتبه ، وانتشر بين أيدي الطلاب والعلماء ، واشتغل به الناس في الدراسة والتدريس ، يقول الإمام النووي رحمه الله عند عرضه لكتب المذهب الشافعي: «واشتهر منها لتدريس المدرسين ، وبحث المشتغلين «المهذب» للشيرازي ، و«الوسيط» للغزالي ، وقد وفر الله الكريم دواعي العلماء من أصحابنا رحمهم الله على الاشتغال بهذين الكتابين ، وما ذلك إلا لجلالتهما ، وعظم فائدتهما ، وحسن نية ذينك الإمامين ، وفي هذين الكتابين دروس المدرسين ، وبحث المحصلين المحققين ، وحفظ الطلاب المعتنين فيما مضى ، وفي هذه الأعصار ، وفي جميع النواحي والأمصار»[1] .

وقال ملا كاتب جلبي عن «الوسيط في الفروع» ، «وهو ملخص من بسيطه ، مع زيادات ، وهو أحد الكتب الخمسة المتداولة بين الشافعية ، التي يعول عليها ، كما ذكره النووي في تهذيبه»[2] ، ثم ذكر المؤلف أهم الشروح والمختصرات التي انطلقت من «الوسيط» وعدد منها سبعة عشر شرحاً ومختصراً[3] ، ويضاف إليها كتاب القاضي البيضاوي القيم المفيد «الغاية القصوى في دراية الفتوى» الذي اختصر فيه الوسيط بعبارة دقيقة وأسلوب محكم ، وجمل سليمة ، ولغة فصحى ، مع اختيار الأقوال

---

(١) المجموع للنووي ١/٦ .

(٢) كشف الظنون ٢/٦٣٣ ، وانظر: تهذيب الأسماء ١/٣ .

(٣) انظر: كشف الظنون ٢/٦٣٣ .

الراجحة ، والآراء المعتمدة في المذهب ، مقرونة بالأدلة والتعليل باختصار وتركيز.

فالوسيط وشروحه ومختصراته تمثل الحلقة الفرعية المستقلة لسلسلة كتب الفقه الشافعي ، وامتدت هذه الحلقة من الوسيط للغزالي.

كما ظهرت حلقة فرعية أخرى مستقلة تمتد من كتاب «الوجيز للغزالي» نكتفي هنا الإشارة إليها ، وسوف نذكرها تفصيلاً في القسم الثاني من البحث ، وهذه الحلقة الثانية أهم من الأولى ، لأنها انتهت إلى محققي المذهب ، وهما الرافعي والنووي ، وأصبح آخر حلقاتها كتاباً معتمداً ومتداولاً ومقبولاً في المذهب ، وتتلخص هذه الحلقة بأن الإمام الرافعي شرح «الوجيز» للغزالي في كتابه المشهور الكبير «فتح العزيز في شرح الوجيز» وجاء الإمام النووي رحمه الله فاختصر كتاب «فتح العزيز» في كتاب «روضة الطالبين» الذي طبع كاملاً في دمشق ، في اثني عشر جزءاً ، وهو كتاب معتمد في المذهب ، وهو اختصار وترتيب وتنقيح لشرح الوجيز.

تلاميذ الغزالي في الفقه:

لم تقتصر شخصية الغزالي الفقهية على الإفتاء والتصنيف ، بل كانت قبل ذلك وبعده تتمثل في التدريس والمناظرات الشفهية والمجادلات الدائمة والفتاوى المستمرة في بيان الأحكام الشرعية على التلاميذ والطلاب الذي جلسوا بين يديه ، وتفقهوا عليه ، ونهلوا من معينه ، وانتسبوا إلى المدارس التي يؤمها أو يقوم عليها ، حتى صار طلابه فقهاء وأئمة في حياته ، وامتداداً له بعد وفاته ونكتفي هنا بذكر أشهر تلاميذه في الفقه ، لبيان الصورة الكاملة عن آثار الغزالي الفقهية ، ونقتبس ترجمة مختصرة لكل منها من «طبقات الشافعية الكبرى».

١ ـ إبراهيم بن محمد بن نبهان بن مُحرز ، أبو إسحاق الغنوي الرقي ، الصوفي ، تفقه على حجة الإسلام الغزالي ، وكتب الكثير من تصانيفه ، وتوفي سنة ٥٤٣ هـ.

٢ ـ الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين ، أبو عبد الله ، ابن خميس الجهني الكعبي ، من أهل الموصل ، تفقه على الغزالي ، وتوفي سنة ٥٥٢ هـ.

٣ ـ خلف بن أحمد ، من أصحاب الغزالي ، وتوفي قبله ، وله «شرح مشكل الوسيط» ، وله عنه «تعليقة».

٤ ـ رستم بن سعد بن سُلمك الخواري ، أبو الوفا بن أبي هاشم ، قاضي خوار الري ، ورد بغداد في أيام الغزالي ، وتفقه عليه ، ولد سنة ٤٦٤ هـ ، ولم يذكر ابن السبكي تاريخ وفاته.

٥ ـ سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد ، أبو الحسن الأنصاري المغربي الأندلسي ، المحدث ، رحل إلى أن دخل الصين ، وسكن بغداد ، وتفقه بها على الغزالي ، توفي سنة ٥٤١ هـ.

٦ ـ سعيد بن محمد بن عمر بن منصور ، الإمام أبو منصور ابن الزراز ، من كبار أئمة بغداد فقهاً وأصولاً وخلافاً ، تفقه على الغزالي ، وتوفي سنة ٥٣٩هـ.

٧ ـ شافع بن عبد الرشيد بن القاسم ، أبو عبد الله الجيلي ، من أئمة الفقهاء ، تفقه على إلكيا الهراسي وأبي حامد الغزالي ، وتوفي سنة ٥٤١هـ.

٨ ـ عامر بن دُعَش بن حصن بن دُعَش ، أبو محمد الأنصاري ، من أهل السويداء بالشام ، رحل إلى بغداد ، وتفقه على الغزالي ، توفي سنة ٥٣١ هـ.

٩ ـ عبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي ، الموفقي ، المعروف بالبارباذي ، كان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب ، مناظراً ورعاً ، يؤم الناس ويخطب بهم ، خرج إلى طوس ، وأقام عند أبي حامد الغزالي مدة ، توفي سنة ٥٤٢ هـ.

١٠ ـ عبد الكريم بن علي بن أبي طالب ، الأستاذ أبو طالب الرازي ، تلميذ الغزالي ، وتفقه في بغداد على الغزالي وإلكيا الهراسي ، وكان الرازي يحفظ كتاب «الإحياء» للغزالي ، وكان صالحاً ديناً ، توفي سنة ٥٢٢ هـ.

١١ ـ عبد الواحد بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو الفتح الباقرجي ، من أولاد المحدثين ، كان فقيهاً أديباً ، استلم تدريس النظامية ببغداد مدة ، تفقه على إلكيا الهراسي ببغداد ، وعلى أبي حامد الغزالي ، توفي سنة ٥٥٣ هـ.

١٢ ـ علي بن سعادة ، أبو الحسن الجهني الموصلي السراج ، أحد علماء الموصل ، كان إماماً ورعاً عاملاً بعلمه ، تفقه في الجزيرة ، وارتحل إلى بغداد ، وعلق «التعليقة» عن أبي حامد الغزالي ، توفي سنة ٥٢٩ هـ بالموصل.

١٣ ـ علي بن محمد بن حمُّويه بن محمد بن حمُّويه ، أبو الحسن بن أبي عبد الله الصوفي ، صحب الإمام أبي حامد الغزالي بطوس ، وتفقه عليه ، توفي سنة ٥٩٣ هـ.

١٤ ـ علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي ، الفقيه الفرضي جمال الإسلام أحد مشايخ الشام الأعلام ، تفقه على الغزالي ، ولازمه مدة مقامه بدمشق ، وهو الذي أمره بالتصدر للتدريس والإفتاء بعد موت أستاذه نصر المقدسي ، وكان الغزالي يثني على علمه وفهمه ، وحكي أن الغزالي قال بعد خروجه من

الشام: «خلفت بالشام شاباً ، إن عاش كان له شأن» ، يعني جمال الإسلام ، فكان كما تفرس فيه ، وكان جمال الإسلام مدرساً بالزاوية الغزالية[1] بدمشق مدة ، وكان عالماً بالفقه والتفسير والأصول والتذكير والفرائض والحساب ، توفي سنة ٥٣٠ هـ.

١٥ ـ علي بن المطهر بن مكي بن مقلاص ، أبو الحسن ، الدينوري ، كان من تلامذة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وتفقه عليه ، توفي سنة ٥٣٣ هـ.

١٦ ـ عمر بن محمد بن عكرمة الجزري ، الشيخ أبو القاسم بن البزري ، إمام جزيرة ابن عمر ومفتيها ومدرسها ، تفقه على الغزالي وغيره ، وكان ينعت بزين الدين جمال الإسلام ، وكان من أعلام المذهب وحفاظه ، توفي سنة ٥٦٠ هـ.

١٧ ـ محمد بن يحيى بن منصور ، محيي الدين ، أبو سعيد النيسابوري ، الإمام المعظم الشهيد ، تلميذ الغزالي ، تفقه عليه ، وبه عرف ، وشرح كتاب أستاذه «الوسيط في الفروع» وسمي شرحه المحيط ، ويقع في ستة عشر مجلداً ، ويقول صاحب كشف الظنون: «وأوقفه في المدرسة الصلاحية في جوار الشافعية»[2].

١٨ ـ مروان بن علي بن سلامة بن مروان الطنزي (قرية من ديار بكر) ،

---

(١) الزاوية الغزالية هي الزاوية الغربية من جامع بني أمية الكبير بدمشق ، درس فيها الغزالي أثناء إقامته بدمشق فنسبت إليه ، ودرس فيها عدد كبير من فقهاء الشافعية منهم الشيخ المصيصي تلميذ الغزالي ، بعد وفاة الشيخ نصر المقدسي ومنهم جمال الإسلام السلمي ، ومنهم الشيخ الإمام قطب الدين مسعود بن محمد النيسابوري (٥٧٨ هـ) وغيرهم ، (انظر طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٣٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١).

(٢) كشف الظنون ٢/ ٦٣٣.

أبو عبد الله ، ورد بغداد وتفقه بها على الغزالي وغيره ، توفي سنة ٤٥٠ هـ.

١٩ ـ نصر الله بن محمد بن عبد القوي ، الشيخ أبو الفتح المصيصي ، ثم اللاذقي ، ثم الدمشقي ، الإمام في الفقه والأصول والكلام ، توفي سنة ٥٤٢ هـ ، قال ابن السبكي: «وقد وقفت له على مسائل سألها للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، الأسئلة من خط نصر الله ، والأجوبة من خط الغزالي[١].

٢٠ ـ نصر الله بن منصور بن سهل الجنزي ، أبو الفتح الدويني (بلدة من أذربيجان) ، كان فقيهاً صالحاً ، مستوراً ، تفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي ، ومات سنة ٥٤٦ هـ ببلخ[٢].

هؤلاء أهم تلاميذ الإمام الغزالي في الفقه ، الذين تفقهوا به ، ونبغوا في حياته ، وبعد وفاته ، أما عدد تلاميذه الكامل الذين أخذوا عنه في طوس ونيسابور وبغداد والشام فيصلون إلى الآلاف ، كما أن تلاميذه الذين نهلوا من كتبه ، ورشفوا من علومه ، واستفادوا من مصنفاته ، وعكفوا على دراستها وشرحها واختصارها والتعليق عليها ، فإنهم يصلون إلى الملايين طوال القرون التسعة الماضية من وفاته حتى الآن ، وسيبقى الغزالي إلى المستقبل ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، أستاذاً للمسلمين ومعلماً لهم ، وفقيهاً علماً ، لا يستغني عن كتبه دارس أو فقيه أو باحث أو مجتهد.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٣٢١.

(٢) انظر تراجم هؤلاء التلاميذ الأعلام في (طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٣٦ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٥٣ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٩٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢).

ثناء العلماء على الغزالي الفقيه:

كانت شخصية الغزالي الفقيه جذابة للناس، وفذة بين العلماء، ومؤثرة في نفوس الطلاب، وظهرت آثار شخصيته في الإفتاء والتدريس والتصنيف، ولذلك أثنى عليه العلماء ثناء عاطراً، وبينوا فضله، وأشادوا بجهوده، وعكفوا على كتبه التي خلدت ذكره، ونحن نقتبس طرفاً من أقوال العلماء فيه لتوضيح ذلك.

قال عنه تلميذه الإمام محمد بن يحيى: الغزالي هو الشافعي الثاني.

وقال أسعد الميهني: لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من بلغ، أو كاد يبلغ، الكمال في عقله[1].

وعدد ابن السبكي كتبه وقال: «له في المذهب الوسيط والبسيط، والوجيز والخلاصة»[2].

وقال ابن عساكر: «كان إماماً في الفقه مذهباً وخلافاً»[3]، وقال أيضاً: «وجدد المذهب في الفقه، فصنف فيه تصانيف، وسبك الخلاف فحرر فيه أيضاً تصانيف، وعلت حشمته ودرجته في بغداد، حتى كان تغلب حشمته الأكابر والأمراء ودار الخلافة» وقال أيضاً: «إنه لم يخلف مثله بعد»[4].

وقال ابن النجار عنه: «إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين وقته وأوانه، ومن شاع ذكره في البلاد، واشتهر فضله بين العباد، واتفقت الطوائف على تبجيله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢٠٢.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢٢٤، وانظر: مفتاح السعادة ٢/ ٣١، ٣٤٨.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢١٤.
(٤) تبيين كذب المفتري ص ٢٩٢، ٢٩٦.

وتعظيمه ، وتوقيره وتكريمه ، وخالفه المخالفون . . ، وسارت مصنفاته في الدنيا مسير الشمس في البهجة والجمال ، وشهد له المخالف والموافق بالتقدم والكمال»[1] ، حتى وصلت كتبه في حياته إلى المغرب ، وأمر السلطان علي بن يوسف بن تاشفين بحرقها لما فيها من فلسفة[2].

وذكر الإمام فخر الإسلام أبو بكر الشاشي «أن الغزالي لما ولي درس النظامية ببغداد اجتمع عليه الفقهاء»[3] ، وقال الإمام المازري المالكي: «هو أعرف بالفقه منه بأصوله»[4].

ولما مات الغزالي رثاه الأديب ، أبو المظفر محمد الأبيوردي الشاعر المشهور ، بقصيدة ، منها قوله:

مضى وأعظم مفقود فجعت به من لا نظير له في الناس يخلفه

كما رثاه الإمام إسماعيل الحاكمي متمثلاً بقول أبي تمام من قصيدة مشهورة ، منها:

عجبت لصبري بعده وهو ميت وكنت امرأ أبكي دماً وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب[5]

القسم الثاني: التعريف بكتاب الوجيز:

يتبين مما سبق أن كتاب الوجيز يمثل حلقة من سلسلة كتب المذهب الشافعي ، وأن الغزالي نال شهرة واسعة بكتبه الفقهية ، وأن شخصية الغزالي المشهورة فتحت المجال أمام انتشار كتبه ، وأن كتبه تلقاها

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢١٦.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٢١٩.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٢١٨.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢٤١.
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٥.